

لكريمة آل علي صلوات الله عليها و عليهم أجمعين سيدتي بنت باب الحوائج و هذه الليلة ليلة المصاب بجزدها صلوات الله عليه و عليها فلنحسن عزائها بالصلاة على محمد و آل محمد , و عزاءً لباب الحوائج موسى ابن جعفر صلوات الله عليهما في هذه الليلة التي أصيب بها أهل البيت و أشياعهم عزاءً له صلوات الله عليه أن نطيب مجلسنا ثانيةً بالصلاة على محمد و آل محمد , و لإمام زماننا الحجة ابن الحسن صلوات الله عليهما لمصابه و لعزائه و لذكره الشريف لتعجيل فرجه الأقدس زينوا المجلس ثالثاً بصوت رفيع بالصلاة على محمد و آل محمد .

يا زهراء

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد و آل محمد و آخر تابع له على ذلك اللهم العن العصاة التي جاهدت الحسين و شايعة و بايعة و تابعت على قتله الله عنهم جميعاً , اللهم يا رب الحسين بحق الحسين أشفي صدر الحسين بظهور الحجة عليه السلام .

في هذه الليلة التي أصيب فيها أهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين بإمامنا السادس أبي عبد الله الصادق صلوات الله و سلامه عليه أقتطفُ مقطعاً من كلامه المقدس و أبينُ بعضاً من جوانبِ مضامينه بنحوٍ إجمالي روى شيخنا ابن شعبة الحرّاني رحمة الله عليه من أجلة علمائنا و محدثينا في كتابه المعروف تحف العقول عن صادق العترة الأطهر عليه أفضل الصلاة و السلام حيث دخل رجلٌ على إمامنا الصادق فقال عليه السلام ممن الرجل ؟ قال من محبيكم و مواليكم قال صلوات الله عليه لا يجب الله عبداً

حتى يتولاه و لا يتولاه حتى يوجب له الجنة ثم سأله إمامنا عليه السلام فقال من أي محبينا أنت ؟ فسكت الرجل فقال سدير و كان جالساً بجانب الإمام عليه السلام في مجلس الإمام و كم محبوكم يا ابن رسول الله فقال عليه السلام على ثلاث طبقات طبقة أحبونا في العلانية و لم يحبونا في السر و طبقة يحبونا في السر و لم يحبونا في العلانية و طبقة يحبونا في السر و العلانية هم النمط الأعلى شربوا من العذب الفرات و علموا بأوائل الكتاب و فصل الخطاب و سبب الأسباب فهم النمط الأعلى الفقر و الفاقة و أنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل مستهم البأساء و الضراء و زلزلوا و فتنوا فمن بين مجروح و مذبح متفرقين في كل بلاد قاصية بهم يُشفي الله السقيم و يغني العديم و بهم تنصرون و بهم تمطرون و بهم ترزقون و هم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً و خطراً - دخل هذا الرجل الإمام صلوات الله و سلامه عليه سأله ممن الرجل على أي فرقة يعد من أي طائفة من أي قبيلة من قبائل المذاهب و الأديان قال من محبيكم و مواليكم الإمام صلوات الله و سلامه عليه بين له حقيقة واضحة تنطق بها آيات الكتاب و النصوص المعصومية الشريفة قال له لا يجب الله عبداً حتى يتولاه و لا يتولاه حتى يوجب له الجنة , محبة العبد للباري سبحانه و تعالى لا تتحقق و لا تتمحض إلا بالتولي و التولي لا يتحقق إلا بالتبري و هذه حقيقة واضحة و ثابتة هناك مساوقة و مقارنة دائمية و في جميع الأحوال بين حال التولي و بين حال التبري تلاحظون الرواية الشريفة هكذا تقول لا يجب الله عبداً حتى يتولاه ربما يكون في قلب العبد محبة لكنه لا يعتقد و لا يعيش معنى التولي حقيقة هذه المحبة و هذا الميل و هذه العاطفة في نظر الإمام الصادق في نظر أهل البيت و هو نظر الله سبحانه و تعالى أن هذه المحبة لا يقال لها محبة و لذلك الرواية تقول لا يجب الله عبداً حتى يتولاه إنما تتحقق المحبة في قلب العبد لله بتولي الله و إلا العاطفة قد تكون في

قلب الإنسان المودة في قلب الإنسان و الميل إلى الله في قلب الإنسان هذا المعنى قد يستشعره الإنسان لكن هذا النوع من الميل و هذا النوع من المحبة في نظر أهل البيت لا يقال له محبة حقيقة المحبة لا بد أن يكون فيها التولي لا يجب الله عبداً حتى يتولاه و التولي لا يتحقق معناه إلا بالتبري لا بد من طرد الأغيار من قلب الإنسان حينئذ يتحقق معنى التولي و إلا إذ لم تطرد الأغيار من قلب الإنسان و من عقيدة الإنسان و من باطن الإنسان لا يتحقق هنا معناً للتولي قد يتحقق بعض مراتب المحبة قد تتحقق بعض درجات المودة و الود في قلب الإنسان لكن ليست هي المحبة المطلوبة و ليست هي المودة المطلوبة و ليست هي العلة التي تنفع الإنسان في النجاة في عالم الدنيا و في عالم الآخرة المحبة الحقيقية المحبة التي تكون في جوهرها مشتملة على معنى التولي مشتملة على معنى التبري و لذلك من أحب قوماً حُشر معهم أُشرك في عملهم من أحب عمل قوم أُشرك في عملهم هذه المعاني ناظرة إلى هذه الجهة ناظرة إلى جهة التولي و إلى جهة التبري و كلما عاش قلب الإنسان مقداراً من التبري بقدر ذلك المقدار يكون مقدار التولي أيضاً و لذلك هذا الرجل الذي جاء لسيد الأوصياء صلوات الله و سلامه عليه فقال أحبك و أحب فلاناً يشير إلى الأول و الثاني أحبك و أحب فلاناً و فلاناً قال أما أنك لأعور إما أن تعمى و إما أن تبصر أنت في هذه الحالة تعيش حالة من العور و حالة العور هذه إما أن تهتدي إلى التبري فتبصر و إما أن تبقى على هذه الحالة فعاقبتك العمى و الخسران و هذا المعنى تكرر في أكثر من حديثٍ من الأحاديث المعصومية التي وردت عن أئمتنا صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين من أن الذي يحبهم صلوات الله عليهم أجمعين و لا يتبرأ حقيقةً من أعدائهم إنما هو الأعور أعور العقيدة أعور البصيرة أعور المذهب أعور الطريقة أعور الدين تكامل العقيدة في هاتين الجنبتين في جنبه التولي و في جنبه التبري و الرواية هنا ناظرة إلى

هذا المعنى لا يجب الله عبداً حتى يتولاه فإذا تولاه و لا يتولاه إذا تولى الله حقيقةً والى أولياء الله و عادى أعداء الله و لا يتولاه يعني لا يتولى العبد الباري سبحانه و تعالى و لا يتولاه حتى يوجب له الجنة يعني حتى يوجب له الباري الجنة لا أريد أن أطيل الكلام هنا حديث السلسلة الذهبية الحديث الشريف المنقول عن إمامنا الرضا صلوات الله و سلامه عليه ولاية علي ابن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي بشرطها و شروطها و أنا من شروطها كما قال أبو الحسن الرضا صلوات الله و سلامه عليه قال و أنا من شروطها إلى جانب الولاية الشرط الثاني شرط البراءة فلا بد من التولي و التبري حتى يتحقق معنى المحبة أستمر في ما قاله إمامنا الصادق عليه السلام فسأله الإمام الصادق بعد ذلك بعد أن بين هذه الحقيقة قال له من أي محبين أنت هذا السؤال يكشف أن محبي أهل البيت عليهم السلام على مراتب على طبقات على أصناف على أنواع من أي محبين أنت أي من أي طائفة أنت من أي مرتبة من أي مسلك من مسالك محبين أنت من أي محبين أنت فسكت الرجل سكت الرجل لأنه لم يكن على علم بهذه المراتب و لم يكن على علم في أن يضع نفسه في أي مرتبة من هذه المراتب لكن هذا السؤال دفع سديراً أن يسأل و سدير هذا هو سدير الصيرفي من أصحاب إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه و قد سجن في أيام الإمام الصادق عليه أفضل الصلاة و السلام كما ورد في كتب التراجم في كتب الرجال في كتب التاريخ أن الإمام عليه السلام كان يدعو له كثيراً طيلة فترة سجنه حتى فُرج عنه حتى خرج من السجن سدير سأل الإمام صلوات الله و سلامه عليه قال و كم محبوبكم يا ابن رسول الله لأن السؤال يكشف عن عدة مراتب عن عدة أنواع عن عدة أصناف من المحبين قال و كم محبوبكم يا ابن رسول الله فقال إمامنا عليه السلام على ثلاث طبقات هناك طبقات و كلمة طبقات جمع لطبقة و كلمة طبقات

تشير إلى مرتبة فوق مرتبة كلمة طبقات تشير إلى مرتبة فوق مرتبة لم يقل الإمام مثلاً ثلاث جماعات فالجماعات قد يكون و قد تكون في بعض الأحيان كلمة الجماعات دالة على المراتب المختلفة لكن ربما تدل كلمة جماعات على مراتب في نفس المستوى لكن لك جماعة مَشْرِك يخصصها لكل جماعة ذوق يتعلق بها أما حينما قال على ثلاث طبقات يعني هناك مرتبة فوق مرتبة قال على ثلاث طبقات بعد ذلك يبدأ الإمام عليه السلام في تفصيل معنى هذه الطبقات قال طبقةً أحبونا في العلانية و لم يحبونا في السر طبقةً أحبونا في العلانية و لم يحبونا في السر و المراد هنا ليس معنى النفاق ليس معنى النفاق الذي لا يؤمن أصلاً بأهل بيت العصمة هذا لا يدخل في طبقات المحبين المراد هنا طبقة من طبقات المحبين لأن السؤال هكذا و كم محبوكم يا ابن رسول الله فالإمام صلوات الله و سلامه عليه هنا قال طبقةً أحبونا في العلانية و لم يحبونا في السر مراد الإمام صلوات الله و سلامه عليه نفس المعنى الذي أشار إليه إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام حين قال من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه فهو منافق النفاق هنا مع وجود مرتبة من المحبة لأن النفاق على مراتب هناك النفاق في أصل الإيمان هناك النفاق العقائدي هناك النفاق الأخلاقي هناك النفاق السياسي هناك النفاق الاجتماعي مراتب متعددة من النفاق منظور الإمام هنا صلوات الله و سلامه عليه إلى مرتبة من مراتب النفاق حين قال من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه فهو منافق و الرواية هنا ناظرة إلى هذا المعنى هذا الذي ظاهره أكثر من باطنه يعني في باطنه توجد محبة في باطنه يوجد شيء من معنى الولاء لكن المظاهر الخارجية و الإدعاءات الخارجية إذا ما قيست مع مصداقية ما في القلب لا يوجد تناسق فيما بينها الإدعاء الخارجي كبير و الموجود في القلب صغير الموجود في القلب شيء قليل لا يقاس بهذه الكثرة المتكاثرة التي تظهر على لسان القال فقط و على لسان

الإدعاءات و اللقلقة من كان ظاهره في ولايتي أكثر من باطنه فهو منافق و هذه مرتبة من مراتب النفاق العقائدي مع أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين الإمام هنا يقول طبقة أحبونا في العلانية و لم يحبونا في السر أحبونا في العلانية بما يظهرونه من كلام بما يظهرونه من دعاوى و إدعاءات و بما يظهرونه من التمسك بمناسك و بشعائر ظاهرية محضة في الوجه الظاهري فقط لكن في قلوبهم لكن في ضمائرهم في بواطنهم لا توجد هناك موازنة بين هذا الذي يظهر منهم مع الموجود في باطنهم مع الموجود في طوايا خلجاتهم النفسية هذه الطبقة الأولى أحبونا في العلانية و لم يحبونا في السر الطبقة الثانية و أنا لا أريد الحديث عن الطبقة الأولى أو عن الطبقة الثانية إنما أشير إلى جهة مهمة في الطبقة الثالثة تحدث عنها إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه قال و طبقة ثانية و طبقة أحبونا في السر و لم يحبونا في العلانية هؤلاء الذين عاشت العاطفة في قلوبهم أما عملياً لا يملكون الاستعداد لتحمل المشاق في سبيل أهل البيت فلم يحبونا في العلانية في قلوبهم يحبون أهل البيت في قلوبهم يتبرأون من أعداء أهل البيت في قلوبهم يحبون الذي يوالي أهل البيت في قلوبهم يبغضون الذي ينتقص من أهل البيت لكن هذه المحبة باطنية أما في التصرف الخارجي لا هم نصرنا حقاً و لا هم خذلوا باطلاً هذه الطبقة الثانية و مع ذلك هذه الطبقة الثانية أفضل من الطبقة الأولى الطبقة الثانية بالقياس إلى الأولى أفضل من الطبقة الأولى لأن الطبقة الأولى عاشت معنى المخادعة مع أهل البيت في قلوبهم شيء مرتبة من الولاء و الذي يظهرونه من الولاء يختلف مع الذي في قلوبهم و هذا شيء من المخادعة مخادعة مع إمام زمانهم إمام زماننا صلوات الله و سلامه عليه ناظرٌ إلى كل حالاتنا إلى كل حالاتنا اللفظية القولية النفسية الفعلية حتى الهواجس و الخواطر جميع ما يحيط بوجودنا الإمام صلوات الله و سلامه عليه ناظرٌ إليه مطلع عليه و حينئذ تكون هذه

الحالة حالة مخادعة , أما الصنف الثاني حالة تخاذل و طبقة أحبونا في السر يحبونا في السر و لم يحبونا في العلانية و في الروايات الشريفة هذه الطبقة طبقة العُباد هؤلاء الذين يتفرغون للعبادة و لا علة لهم بأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين إلا في الجانب القلبي في جانب المحبة أما من جهة العمل و من جهة الدفاع و الذود عن حياض أهل البيت لا علة لهم بذلك و إنما يتفرغون للعبادة يتفرغون للصيام يتفرغون للأمر التي يرون الخير و الثواب فيها بحسب تصورهم و طبقة يحبونا في السر و لا يحبونا في العلانية يعني لا يوجد هناك تفعيل واقعي لهذه المحبة الموجودة في القلوب لا توجد هناك ترجمة في عالم الواقع الخارجي لهذه المحبة و لهذه المودة في قلوبهم و هؤلاء إنما يلجئون إلى هذا المسلك طلباً للخلاص من المشاكل و هؤلاء قد يوسمون بالتعقل يوسمون بالحكمة يوسمون بعدم الضلالة بعدم الانحراف لأنهم لا يدخلون في تيار المشاكل و في تيار المصادمة و في تيار المواجهة مع أعداء أهل البيت هذا الصنف الثاني هو هذا الصنف الذي يوصف بالتعقل يوصف بالحكمة يوصف بالنزاهة يوصف بالورع و التجنب عن الدنيا و الحال هؤلاء أعبد الناس للدنيا إن هؤلاء إنما سلكوا هذا المسلك لأجل أن يعيشوا حياةً دنيوية هادئة مطمئنة خالية من الآلام النفسية خالية من الأذى النفسية خالية من الضيق المادي أو من الضيق المعنوي أنا قلت لا أريد الحديث عن هاتين الطبقتين و مصاديق الطبقة الأولى و الطبقة الثانية ما شاء الله كثيرة في واقعنا الشيعية و طبقة ثالثة الطبقة الثالثة و هي الطبقة الممدوحة قال على ثلاث طبقات الطبقة الأولى أشرنا إليها الثانية تحدثنا عنها بشكل موجز قال و طبقةً أحبونا في السر و العلانية و هم النمط الأعلى يعني هذه الطبقة هي الطبقة التي أرادها و يريدنا أهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه يتحدث عن أوصاف هذه الطبقة قال و طبقةً يحبونا

في السر و العلانية هناك موازنة هناك موازنة في عقيدة الإنسان بين ظاهره و بين باطنه في الجانب العقائدي في جانب العبادات و في جانب أخلاقه و تعامله مع مختلف عباد الله هناك موازنة أحبونا في السر و العلانية و من مصاديق هذه المحبة حينما نخاطب الأئمة إني مؤمنٌ بظاهركم و باطنكم بسرکم و علانيتكم هذا الإيمان بالسر و بالعلانية بالظاهر و بالباطن لا يتحقق ما لم تكن هناك محبة في ظاهر الإنسان و في باطن الإنسان و إلا هذا الاعتقاد بهذا النحو لا يتحقق الرواية الشريفة في الكافي الشريف عن صادق العترة صلوات الله و سلامه عليه أنه من أراد أن يستكمل الإيمان كل الإيمان من أراد أن يستكمل الإيمان كل الإيمان و استكمال الإيمان بكل معناه يكون في جانبه الظاهري و في جانبه الباطني في جانب السر و في جانب العلانية من أراد أن يستكمل الإيمان كل الإيمان فليقل القول مني ما قاله آل محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ما أسروا و ما أعلنوا ما بلغني عنهم و ما لم يبلغني إيمانٌ بالسر و بالعلانية إيمانٌ بالظاهر و الباطن إيمانٌ بالشاهد و الغائب إني مؤمنٌ بشاهدكم و غائبكم بحيكم و ميتكم بأولكم و أحرکم هذه المعاني واضحة تتكرر في زيارات أهل البيت مؤمن بظاهركم و باطنكم بسرکم و علانيتكم بأولكم و أحرکم بميتكم و حيكم بشاهدكم و غائبكم بإيابكم و رجعتكم هذه المعاني التي أشرتُ إليها أنت قد قرأتها كثيراً في زيارات أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين كلها تشير إلى نفس هذا المضمون في هذه الرواية الشريفة من سره أن يستكمل الإيمان كل الإيمان فليقل القول مني ما قاله أهل البيت عليهم السلام فيما أسروا و ما أعلنوا في الذي بينوه لي و في الذي لم يبينوه حتى الذي لم أسمعهُ فيما بلغني عنهم و في ما لم يبلغني حتى الذي لم يصل إلى مسامعي أنا مؤمنٌ به لأنهم لا يقولون إلا الحق و الحق معكم و فيكم و منكم و بكم و إليكم فلا يقولون إلا الحق و لا يصدر منهم إلا الحق

صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و طبقةً أحبونا في السرِّ و العلانية و هم النمط الأعلى الإمام صلوات الله و سلامه عليه تحدث عن أوصافهم في ثلاث جهات:

الجهة الأولى قال عنهم هكذا في الجهة الأولى قال عنهم أنهم علموا أوائل الكتاب و فصل الخطاب و سبب الأسباب و الكلمات هنا تتحدث عن صفات عقائدهم و عن عمق عقيدتهم و عن الأسس التي بُنيت عليها أفكارهم علموا بأوائل الكتاب و فصل الخطاب و سبب الأسباب هذه المعاني فيما سلف تقدم الكلام عنها أنا أيضاً ليس مقصودي في هذه الليلة أتحدث عن هذا المضمون و إنما أتحدث عن النوع الثاني من الأوصاف التي أشار إليها صادق العترة لأن الإمام تحدث عنهم في ثلاث جهات الجهة الأولى هكذا قال عنهم قال عنهم شربوا من العذب الفرات و العذب الفرات هنا المراد منه فرات ولاية علي و آل علي المراد من العذب الفرات الإيمان الواقعي الحقيقي الصادق بولاية علي و آل علي شربوا من العذب الفرات و علموا بأوائل الكتاب مقصود من الأوائل هنا كما يقال الآن الأوليات أوليات الشيء الأسس و المبادئ التي يبنى عليها كل علمٍ يقال لها أوليات العلم أوائل الكتاب الأسس التي بُني عليها الكتاب الكريم شربوا من العذب الفرات و علموا بأوائل الكتاب و فصل الخطاب و سبب الأسباب هذه الجهة الفكرية العقائدية العلمية التي تبني عليها عقائدهم قلت لا أريد الحديث عنها .

والجهة الثانية التي تحدث فيها الإمام عليه السلام عن هؤلاء قال هكذا قال بهم ترزقون بهم تمطرون بهم تنصرون هذه الأوصاف التي أشار إليها صلوات الله و سلامه عليه حين قال بهم يشفي الله السقيم و يغني العديم و بهم تنصرون و بهم تنصرون و بهم ...

... (إلى هنا ينتهي الوجه الأول من الكاسيت)....

و بهم ترزقون و هم الأقلون عددا الأعظمون عند الله قدراً و خطراً هذه الجهة الثانية التي تحدث فيها إمامنا الصادق عن بركات آثار هؤلاء على المخلوقات و عن عظمة منزلتهم عند الله سبحانه و تعالى هذه الجهة الثانية أيضاً لا أريد الحديث عنها.

الجهة الثالثة التي أقف عندها بعض الشيء و أختتم حديثي و أسألكم الدعاء بعد ذلك الجهة الثالثة حينما تحدث الإمام عليه السلام عن حالة تخص هؤلاء عن حالة تخص أهل الإيمان قال عليه السلام الفقر و الفاقة و أنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل مستهم البأساء و الضراء و زلوا و فتنوا فمن بين مجروح و مذبح متفرقين في كل بلاد قاصية هذه الجهة التي أريد أن أقف عندها بعض الشيء هذه الجهة التي تحدث عنها إمامنا عليه السلام و التي يدور مضمونها الإجمالي حول معنى البلاء و حول معنى التمحيص و هذا المعنى واضح في أحاديث أهل بيت العصمة صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين أنه ما كان و لا يكون من يوم آدم عليه السلام و إلى يوم القيامة لا من نبي و لا من وصي و لا من ولي و هو يخلو من واحدة من هذه الأربعة من شيطان يؤذيه أو عدو يؤذيه أو جار يؤذيه أو مؤمن يؤذيه شيطان يؤذيه عدو يؤذيه العدو من الأنس أو مؤمن يؤذيه يسأل الإمام صلوات الله و سلامه عليه قال يا ابن رسول الله مؤمن يؤذيه قال نعم مؤمن يؤذيه يفترى عليه فيصدق الناس في رواية أخرى قال مؤمن يؤذيه قال نعم يحسده فيؤذيه إذا حسده حينئذ أبغضه إذا أبغضه حينئذ قال فيه ما قال فلا كان و لا يكون إلى يوم القيامة إما أن يكون المؤمن مبتلياً بشيطان يؤذيه أو بعدو يؤذيه أو بجار يؤذيه أو بمؤمن يؤذيه و هذه المعاني واضحة في كلمات المعصومين صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين بشكل إجمالي الوقت ما يكفي أن أورد تمام الروايات لكن بشكل إجمالي إذا أردنا أن نلقي نظرة إجمالية على روايات البلاء المؤمن لا يخلو إما أن يتلى بالفقر الروايات هكذا تقول هذا

كلام أهل البيت عليهم السلام المؤمن لا يخلو و إلا ليس بمؤمن و إذا مرت أربعون يوماً على المؤمن و لم يكن قد نزل عليه بلاء لم يكن قد ابتلي فليشك في إيمانه الروايات هكذا تقول فليعد النظر في إيمانه و لذلك بعض الأصحاب قالوا يا ابن رسول الله ربما مرت علينا أربعون يوم قال حتى الخدشة تعد من البلاء حتى الخدشة معدودة في البلاء لكن أيضاً هذا في وجه من وجوه الرواية و إلا مقصود الرواية الشريفة لأهل المراتب العالية من أهل الإيمان أن البلاء ملازمٌ لهم لأن الروايات الشريفة تقول هكذا إن البلاء إذا نزل أول ما ينزل ينزل على المعصوم عليه السلام ثم إن المعصوم عليه السلام يُقسمة على أوليائه الأمثل فالأمثل من هو الأقرب إلى المعصوم تكون حصته الأكبر و هكذا الأمثل فالأمثل من الذين يكونون على قربٍ منه صلوات الله و سلامه عليه و نحن نقرأ في الأدعية الشريفة هكذا في أدعية الغيبة نصلي على أعوانه على نأيه و غيبته هناك له أعوان يعينونه عليه السلام على نأيه و غيبته من مصاديق أعوانه على نأيه و غيبته أولئك الذين يحتملون البلاء أولئك الذين يُقسم عليهم البلاء كما أشارت إلى ذلك الأحاديث المعصومية الشريفة أن البلاء ينزل عليه فيقسمه في الرواية على إخوانه فيقسمه على أخوانه من المؤمنين الأمثل فالأمثل و لذلك المؤمن لا يخلو إما أن يتلى بفقرٍ في ماله بفقرٍ و بحاجةٍ و بعوزٍ في معاشه و إما أن يتلى في جسده بمرضٍ و آلامٍ و إما أن يتلى بزوجته و إما أن يتلى بأحد ساكني بيته أن يؤذيه و أن يشتمه كلما دخل إلى داره و إما أن يتلى بعقوق ولده و إما أن يتلى بإيذاء جيرانه و إما أن يتلى بإيذاء أخوانه و إما أن يتلى بأذى من أعدائه و إما أن يتلى بخوفٍ من السلطان و إما أن يتلى بمظلوميةٍ من الناس و الروايات الشريفة تقول كان رسول الله صلى الله عليه و آله مكفراً و كان عليٌّ مكفراً و كان الأئمة مكفّرين فالمؤمنٌ مكفّرٌ و معنى المؤمن مكفّرٌ إما أنه يفعل الأمر الحسن فإما أن يُنسب إلى عدوه يقال إن

عدوه هو الذي فعل هذا الفعل الحسن و إما أن يفعل الأمر الحسن فيُذم عليه و يُسب و يُشتَم هذا معنى أن المؤمن مُكفّر و كان رسول الله صلى الله عليه و آله مُكفراً فإما أن يتلى بمظلومية الناس له بظلم الناس له فإن لم يكن الروايات هكذا تقول فإن لم يكن شيء من ذلك فإن الله يسלט عليه الهم و الغم من دون سبب فإن لم يكن ذلك فإن الله يسלט عليه الكوابيس في المنام في كل حالة من حالاته لا بد من الابتلاء و نحن إذا أردنا أن نفهم معنى الحياة و نحن إذا أردنا أن نفهم معنى الديانة و معنى العقيدة لا نتمكن من فهمها إلا باللجوء إلى ما قاله أئمتنا صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين أئمتنا هكذا يفهمون الحياة و هكذا يريدون منا أن نفهم الحياة و أن نعيش معنى الحياة فإن لم يكن يُسלט عليه الهم و الغم و هذه ظاهرة واضحة في حياة المؤمنين من دون سبب و إذا به قد أصيب بهم و غم من دون أن يكون هناك سبب ظاهر نعم ورد في بعض الروايات الشريفة إن هذا الهم و هذا الغم الذي يصاب به المؤمن قد يكون مؤساةً موافقةً موافقةً لمؤمنٍ في شرق الأرض أو غربها قد أصيب بأذى عظيم في بعض الروايات إن هذا الهم و الغم كما يذكر ذلك شيخنا الصدوق في علل الشرائع أنه العلة في إصابة الإنسان الهم و الغم في الروايات الشريفة عن المعصومين إن الإنسان المؤمن يُصاب بالهم و الغم موافقةً لهم إمامه لغم إمامه و قطعاً هذا اختلاف في مراتب أهل الإيمان تارة يكون الهم و الغم موافقةً لأهل الإيمان و أخرى يكون الهم يعني لا يوجد هناك تعارض في هذه الأحاديث الشريفة إنما هنا الحديث عن مراتب الناس عن مراتب أهل الإيمان تارة يكون هذا الهم و الغم موافقةً لهم مؤمن لأذى مؤمن و أخرى لأذى إمامه صلوات الله و سلامه عليه و لذلك يقول أهل المعرفة أهل العلم أهل السلوك أنه من جملة الأسباب التي لأجلها يصاب و يتلى كثير من المؤمنين من الهم و الغم عند عصر الجمعة لهم الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه

من جهتين من جهة أن الأعمال تُعرض عليه في يوم الخميس في ليلة الجمعة و يرى شنائع أعمال شيعته و من جهةٍ أخرى أن جاء يوم الجمعة و لم يكن هناك الفرج فلذلك يصاب الكثير من أهل الإيمان عند عصر الجمعة على أي حال لا أريد الدخول في هذه القضية و في هذه المسألة هذا الكلام ليس من أصل البحث الذي نحن بصدده أصل الكلام في البلاء الذي يُصب على أهل الإيمان الرواية هكذا قالت الحديث الشريف الذي نحن بصددِه قال الفقر و الفاقةُ الفاقة الحاجة الشديدة قال الفقرُ و الفاقة و أنواع البلاء أنواع البلاء على اختلاف أشكاله الفقرُ و الفاقة و أنواع البلاء أسرعُ إليهم من ركض الخيل تسرع إليهم بسرعةٍ أكثر من جري الخيل و ركضها ثم تستمر الرواية مستهم البأساء و الضراء البأساء و الضراء الآلام الشديدة في الحرب و في السلم في الأمن و في الخوف في الصحة و في المرض في مختلف حالات الإنسان مستهم البأساء و الضراء و زلزلوا و فتنوا فمن بين مجروحٍ و مذبحٍ متفرقين في بلاد الله القاصية متفرقين في كل بلادٍ قاصية و هذه الحقيقة التي تتجلى لنا بشكلٍ جلي في حياة أئمتنا و في حياة أوليائهم و أشياعهم صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و هذا البلاء يبقى ملازماً لأهل الإيمان و يكون أسرع إليهم كما تقول هذه الرواية في رواية أخرى عن سيد الشهداء سيد الشهداء يقول لو لم يكن البلاء إليكم أسرع من السيل و السيل هو بطبيعة حاله سريع السيول المتجمعة بطبيعة حالها سريعة الإمام يقول لو لم يكن البلاء أسرع إليكم من السيل من أعلى الجبل إلى أسفله هو السيل بطبيعة حاله هو سريع فإذا كان هذا سيل و ينزل من أعلى الجبل إلى أسفل السفح حينئذٍ تكون السرعة مضاعفة و الإمام يقول لو لم يكن البلاء أسرع من ذلك لو لم يكن البلاء أسرع إليكم من السيل من أعلى الجبل إلى سفحه إلى أسفله إلى ضميره كما في الرواية لما عددناكم في شيعتنا لما كنتم من شيعتنا إن لم يكن البلاء بهذه

السرعة متوجهاً إليكم لما عددناكم في شيعتنا لكن لا يعني أن الذي يُبتلى و أن الذي ينزل عليه الابتلاء هو هذا الذي قد بلغ الذروة العالية الابتلاء إذا كانت معه استقامة الابتلاء إذا كان معه تسليم الابتلاء إذا كان معه سير وفقاً للذي يريده أهل البيت هو هذا الابتلاء الذي يقود الإنسان إلى دائرة التوفيق و يأخذ بيد الإنسان إلى شاطئ النجاة و الأمان الابتلاء مع الاستقامة الابتلاء مع اللجوء الواقعي لأهل البيت لأن فلسفة الابتلاء هي هذه فلسفة الابتلاء هو لأجل التذلل لله و لأهل البيت أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه في خطبته القاصعة في نهج البلاغة خطبة من الخطب الشهيرة لأمير المؤمنين الخطبة القاصعة من الخطب التي تحدث فيها عن كثيرٍ من أسرار العلوم الإلهية الخطبة القاصعة يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام حين حديثه عن فلسفة البلاء ماذا يقول ؟ يقول و لكن الله و لكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد انتبهوا إلى كلامه عليه السلام و لكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد و يتعبدهم بأنواع المجاهد و يتليهم بضروب المكاره لأي شيء إخراجاً للتكبر من قلوبهم و إسكاناً للتذلل في نفوسهم ليجعل لذلك أبواباً فُتِحاً إلى فضله فُتِحاً يعني مفتوحة ليجعل لذلك أبواباً فُتِحاً إلى فضله و أسباباً ذُللاً يعني مُيسره و أسباباً ذُللاً لعفوه لأي شيء الإمام هكذا قال و لكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد اختبار امتحان تمحيص ابتلاء بأنواع الشدائد و يتعبدهم بأنواع المجاهد المجاهد جمعٌ لمجهدة لما يُبذل فيه الجهد مجاهدات , مجاهدات النفس مجاهدات البدن مجاهدات الشهوات ما يبذل فيه الإنسان الجهد الجهيد و يتعبدهم بأنواع المجاهد و يتليهم بضروب المكاره ضروب أنواع مختلفة لأي شيء إخراجاً للتكبر من قلوبهم و إسكاناً للتذلل في نفوسهم التذلل هذا هو الذي إليه الإشارة في دعاء الاستئذان الشريف الدعاء الذي يقرأ حين زيارة السرداب الكريم حين زيارة سرداب الإمام الحجة عليه السلام حين تقف على أعتابه

الكريمة و تقرأ في دعاء الاستئذان ماذا تقرأ الدعاء موجود في المفاتيح في غير المفاتيح رواه شيخنا المجلسي رحمة الله عليه في مزاره هكذا نحاطبُ الباري فأذن لنا اللهم فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين و السماوات و ذلّل جوارحنا بذل العبودية و أرسل دموعنا بخشوع المهابة و ذلّل جوارحنا بذل العبودية ذل العبودية لمن لهم لأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و يستمر في الدعاء و أرسل دموعنا بخشوع المهابة حتى نقر لهم بما يجب لهم من الأوصاف التذلل لله التذلل لأهل البيت التذلل لأهل الإيمان و صفات أهل اليقين صفات المخلصين أنهم أعزة على الكافرين و أدلة على المؤمنين و أفضل مراتب التذلل لله التذلل لأهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين و لذلك هذه الصفة من أوضح صفات أصحاب إمام زماننا عليه السلام في تعاملهم مع الإمام صلوات الله و سلامه عليه أنهم يكونون له كما تقول الرواية عن صادق العترة عليه السلام يكونون له أطوع من الأمة لسيدها و الأمة ذليلة لم تقل الرواية أطوع من العبد لسيدهِ الرواية هكذا قالت أنهم يكونون أطوع من الأمة لسيدها الأمة ذليلة و أذل من العبد و تعيش معنى التذلل و الذلة لسيدها و الرواية تقول أطوع يعني أذل هم أطوع من الأمة لسيدها و لذلك العلة في الابتلاء هي هذه السر في الابتلاء هنا لأن الإنسان إذا لم يبتلى لأن الإنسان إذا لم ينزل عليه البلاء و لم يتألم يتكبر حتى لو كان يسلك في الطريق السليم يتصور أنه على هدى يتصور أنه على أفضل ما يكون أما إذا ابتلي و أما إذا مُحِص و نزلت به الشدة و نزلت به الفتنة و وقع تحت الآم الابتلاء و وقع تحت ضغط الامتحان في الجانب المادي و في الجانب المعنوي يميل حينئذ الإنسان إلى الانكسار حينئذ قلبه يكون منكسراً و الباري يقول أنا عند المنكسرة قلوبهم و حينئذ يكون الاقتراب من أهل البيت حينئذ يكون الاقتراب من الله سبحانه و تعالى مع التذلل

مع الانكسار مع التخشع و لذلك من جملة آداب الدعاء ما هي من جملة آداب الدعاء المهمة و هذا الأدب واضح في كثيرٍ من أدعية المعصومين عليهم السلام أن العبد يمجّد الباري و بعد ذلك يبدأ بذكر تقصيره و هو هذا معنى التذلل لله سبحانه و تعالى التذلل هو الذي يفتح باب الإجابة هو الذي يفتح باب الوصال هو الذي يفتح باب القرب مع أهل البيت و مع الباري سبحانه و تعالى من هنا كان البلاء على أهل الإيمان على أولياء أهل البيت من هنا كان البلاء و من هنا كانت الحكمة في البلاء و كل الذي يجري على أهل الإيمان إنما هو لصالحهم لكن يبقى الأمر إليهم إن سلّموا إن صبروا فازوا إن لم يُسلّموا إن لم يصبروا و أصابهم الجزع و خرجوا عن جادة الصواب هم الذين سيقعون في دائرة الخسران و إلا هذا الرجل الذي دخل على إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه ربما طال المجلس أعرج على ذكر مصيبة صادق العترة صلوات الله و سلامه عليه هذا الرجل الذي دخل على إمامنا الصادق عليه السلام بعد أن سُقي السم عليه أفضل الصلاة و السلام دخل على الإمام رآه بهذه الحالة هكذا تصفهُ الأخبار أنه لم يرى من بدنه إلا رأسه من شدة هزال بدن الإمام الصادق صلوات الله و سلامه عليه فلما لم يرى من بدن الإمام إلا رأسه الشريف لشدة وقع السم على جسد الإمام عليه السلام السم الذي شربه الإمام صلوات الله و سلامه عليه في المدينة هكذا أثر في بدنه الشريف حتى صار بدنه هزياً في غاية الضعف في غاية النحول هذا الرجل لما رأى الإمام بهذه الحالة و بهذه الهيئة بكى الإمام فتح عينيه قال أتبكي قال و كيف لا أبكي يا ابن رسول الله و أنا أراك بهذه الحالة أراك بهذه الهيئة قال اعلم أن الذي يجري على المؤمن فيه الخير له إن قُطع بالسيوف إن مات بالحجر و بأي ميةٍ ما أو إن ملك المشرق و المغرب فكل ذلك له فيه الخير له فيه المصلحة و هذا المعنى نحن نجدُه واضحاً في حياة أئمتنا صلوات الله و سلامه

عليهم أجمعين و الحديث في هذه الليلة عن إمامنا المظلوم و أكثر أئمتنا مظلومية إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه من الجهة الزمانية لأن الإمام الصادق عليه السلام أطول الأئمة عمراً و الأئمة عليهم السلام كلهم قتلوا في ريعان شبابهم عليهم أفضل الصلاة و السلام إمامنا الصادق أطول الأئمة عمراً و حتماً الإمام الذي يطول عمره الشريف بلائه أكثر المصائب و القوارع التي يتجرعها تكون أكثر و إمامنا تجرع من المصائب و الويلات و الإهانات و خصوصاً في زمن الدوانيقي لعنة الله عليه في زمن المخدول و ليس المنصور هم يسمونه المنصور و إلا هو المخدول لعنة الله عليه في زمن المخدول الدوانيقي إمامنا الصادق عليه السلام تجرع الويلات بعد الويلات تجرع الغصص بعد الغصص و مرات كثيرة مرات كثيرة يرسل الجلاوزة و يرسل الأجناد لإرعاب عائلة الإمام الصادق حوادث مفصلة لا يسع المقام لذكرها أحد المرات كان يقول للربيع الإمام الصادق أنه أن يقول لأبي جعفر الدوانيقي أن يقول للدوانيقي لقد أربعت قلوب نسائنا بإرعابنا و أنت تعلم بذلك و تعلم من هي نسائنا أربعتنا و أربعت قلوب نسائنا لطلما أربعت عائلة الإمام الصادق عليه السلام مرات عديدة كثيرة أحد المرات في أيام اعتقاله لآل الحسن لعبد الله ابن الحسن المحض الدوانيقي لعنة الله عليه أرسل أرسل الجلاذ أرسل جلاوزته هكذا أمرهم أن أذهبوا إلى دار الصادق و أتوني به على أي حال بأي صورة أحنقوه بشيابه و اسحبوه على الأرض سحباً من داره بشيابه أحنقوه و أسحبوه فإني أريد أن أقتله و مثل هذه الحالات كثيرة التي مرت على إمامنا الصادق يُهان فيها في محضر الفساق يدخل على الدوانيقي و الإمام على كبر سنه و الإمام على مرضه و الدوانيقي يتركه الإمام واقف حتى لا يقول له اجلس لا يأذن له بالجلوس الإمام يبقى واقف من شدة التعب من شدة المرض الإمام يرفع رجل و يضع رجل الإمام يرفع رجل و يضع رجل

و بعد ذلك يُهين الإمام بعد ذلك يشتم الإمام عليه السلام و الإمام على هذه الولايات الإمام على هذه المصائب هذه السنين الطويلة و الإمام في بعض كتب الأخبار سُقي السم أربع مرات أما هذه المرة الأخيرة التي يودع فيها الإمام هذه الليلة هذه المرة الأخيرة التي قتلت إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه الدوانيقي لعنة الله عليه يبعث إلى داوود ابن علي و يبعث إلى ولاته في المدينة اللعناء يأمرهم بإحراق بيت الإمام الصادق صلوات الله و سلامه عليه الإمام مريض بعد الإهانات و بعد التنكيل الذي لقيه الإمام في أيامه الأخيرة في أيام حياته الأخيرة الإمام على فراش المرض الإمام على فراش العلة اللعين يرسل الجلاوزة وقت الظهرية يحملون الحطب و يسجرون النار و هذه النار ليس جديدة علينا هذه النار نارُ فاطمة هذه النار التي سُجرت على باب أم الحسن و الحسين هذه النار ليس جديدة في تاريخ مصائب آل محمد يحملون الحطب و يجمعون الحطب حول بيت الإمام الصادق عليه السلام يسجرون النار في هذه الحُرم التي جاءوا بها و يشتعل بيت الإمام الصادق الشيعة وصل إليهم الخبر الأمر من الدوانيقي أن أحرق بيت جعفر ابن محمد على رأسه و على رؤوس نسائه , و الخبر يصل إلى أشياع الإمام الخبر إليهم إلى أشياع الإمام أن النار سُجرت في دار الإمام الصادق جاءوا يهرعون حفاة من كل مكان إلى دار إمامهم صلوات الله و سلامه عليه لكن لما وصلوا إلى دار إمامنا الصادق و إذا بالنار بدأت بالخمود بماذا الإمام لما أحس بالنار قد التهبت في جوانب الدار خرج من الحجرة التي ينام فيها خرج و هو يسير حافي القدمين على النار ما داس على موضع من النار إلا و خمدت تحت أقدامه الشريفة و هو يقول أنا ابن مكة و مني أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن علي المرتضى أنا ابن خديجة الكبرى أنا ابن فاطمة الزهراء و النار تخمد تحت قدميه بعد أن خمدت النار سيدي يا بقية الله آجرك الله يا ابن رسول الله

بعد أن خمدت النار تحت أقدام إمامنا عليه السلام الإمام ماذا صنع أتدري أيها المحب ماذا صنع إمامك الصادق جلس في زاوية من البيت وضع رأسه بين ركبتيه و أخذ ييكي عليه السلام بعض أصحابه يا ابن رسول الله النار و قد أخذت بفضلك و كرامتك لما هذا البكاء أنت مريض يا ابن رسول الله لما هذا البكاء أصحابي أخذ يخاطبهم إني ما بكيت لنفسي لكن لما تسجرت النار و رأيت العلويات في الدار يركضن من حجرة إلى حجرة تذكرت ركاض العلويات الهاشميات في يوم الطفوف تذكرت عماتي بالغازيات و إمامنا على هذا الحال و إمامنا على هذه الألام إلى هذه الليلة سيدي يا بقية الله في هذه الليلة يرحل إمامنا الصادق عليه السلام , آجركم الله فاشتد السم في بدن الإمام و ازدادت ألامه عليه السلام سيدي يا بقية الله أحسن الله لك العزاء آجرك الله يا ابن رسول الله إمامنا موسى ابن جعفر جالس عند رأس إمامنا الصادق نحن في جوار السيدة المعصومة إمامنا الصادق جدها المباشر صلوات الله عليه سيدي يا معصومة آل محمد أحسن الله عزائك عظم الله لك الأجر هذه الساعات الأخيرة التي يودع فيها إمامنا الكاظم والده الصادق آجركم الله يا شيعة آل علي يا شيعة جعفر ابن محمد نحن الجعفريون نحن شيعة جعفر و هذه الليلة نودع جعفرًا عليه السلام , يا شيعة جعفر الصادق فمدد رجله أي وإماماه و أسبل يديه و أغمض عينيه و فاظت روحه الطاهرة أي وإماماه و إمامنا جعفره .

—
ملاحظة :

- (1) الأفضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الأخطاء المطبعية .
- (2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجّلة من الوجه الأول و الثاني للكاسيت فيرجى مراعاة ذلك .

(و نسألُكم الدعاء لِتَعْجِيلِ الفَرَجِ)